مصر السادات

إنتحار سياسي وأزمات إقتصادية متفاقمة

الارهاب لن يحل الأزمات بل يزيدها اشتعالا

شكل الناصريون والاشتراكيون المصريون عقبة اساسية في وجه تثبيت نظام السادات ، كمشاركين له في الحكم بعد وفاة عبدالناصر . وكان لا بد له من التخلص منهم . هذا التخلص كان غير ممكن عبر الالتجاء للجماهير ، بل على يد رجال المباحث العامة والمخابرات . فكان « انقلاب » ١٥ مايو وظهور رجل البوليس السادات ممدوح سالم .

ولكي يتمكن السادات من مواجهة معارضيه كان عليه أن يعيد الى باشوات مصر وبهواتها المخلوعين هيبتهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية . وقام بعدة خطوات في هذا المجال تمثلت في اعادة علاقاته الشخصية ببعض رجالات مصر السابقين من التجار والسماسرة أمثال فرغلي باشا ، ورفع الحراسات التي فرضها عبدالناصر على كبار الملاك حماية لصغار الفلاحين ورفع شعار الانفتاح على الغرب خدمة للطبقة الطفيلية الجديدة .

وجاء طرد الخبراء السوفيات والغاء المعاهدة المصرية السوفياتية واطلاق لسان الصحافة المصرية في الهجوم على الاتحاد السوفياتي ، تمهيدا لتسليم زمام مصر الى الولايات المتحدة الامريكية لاحكام سيطرتها على المنطقة باكملها وتحقيق حلم « اسرائيل » . كل هذا حفاظا على مصالح الطبقات الطفيلية والرأسمالية والاقطاعية التي لها كل المصلحة في الارتباط بعجلة الامبريالية الامريكية .

ومن هذا المنطلق كانت زيارة السادات للقدس وكانت اتفاقيات كامب ديفيد والصلح المنفرد مع الكيان الصهيوني .. فكلها حلقات في سلسلة واحدة تستهدف انهاء كل ما يعرقل المصالح الامريكية في المنطقة وكل ما يعيق نراء الطبقات الرأسمالية والطفيلية في مصر وفي الوطن العربي .

وما يجري في مصر الان هو انعكاس حقيقي للممارسات والسياسات التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من النظام وتعبيرا واقعيا عنه .

ان ابرع وسيلة يستغلها النظام المصري الان هي الاستفتاءات . وكلنا يعرف ان الاستفتاء وسيلة خادعة يلجأ اليها الحاكم وهو يحدد مسبقا ما يريده .. فان لم يتحقق بالايحاء ، فانه يتحقق بالتزييف .. ولعل اعضاء مجلس الثورة السابقين كانوا أقدر على كشف هذه الحقيقة في بياناتهم الى السادات . وقد شهد تاريخ الشعب المصري لاول مرة مجموعة من الاستفتاءات في غرابة الغرابة والشذوذ :

- استفتاءات تحرم التظاهر وتقنن القمع والارهاب والسجن المؤبد للمتظاهرين .
- استفتاءات تفرض على الجماهير معاهدة الاستسلام المصرية ـ الصهيونية بقوة الزيف .

ولم يكن من الممكن لنظام هذه طبيعته أن يتصدى للدفاع عن مصالح الجماهير في مصر ، فالازمة الاقتصادية تتفاقم يوما بعد يوم :

- فالاسعار ترتفع بشكل جنوني والسلع الاساسية تختفي من الاسواق لتباع في السوق السوداء لمن يقدر على دفع أثمانها الخيالية .
- أزمة الاسكان وصلت الى حدها ، بعد أن تشرد الكثير من ابناء القاهرة ولم يجدوا غير المقابر ماوى وملجا لهم ، وبعد أن وصل مجرد « خلو الرجل » عن الشقة الواحدة ما لا يقل عن ١٥ الف جنيه ، وبعد أن اصبحت الشقق المملوكة تباع بالعملات الصعبة .
- تفاقمت أزمة المواصلات لدرجة وصلت الى الاختناق ، وسرت في الاوساط الشعبية نتيجة لذلك سلسلة من النكات تسخر علنا من السلطة وبطانتها .
- بدا شبح البطالة يهدد المواطنين وخاصة خريجي الجامعات الذين كانت تلتزم الدولة بتوظيفهم . فقد ترك النظام المصري الحالي الباب مفتوحا للعرض والطلب ولم يعد « العمل حق كل مواطن » كما كان أيام عبدالناصر .
- لم يعد من حق الدولة تشغيل العاطلين من العمال ، بل أصبحوا في حكم السلعة التي يتحكم بها السوق والرأسمال في آن واحد .

ان الازمة الاقتصادية التي اخذت بخناق الجماهير منذ انقلاب مايو وما بعد حرب تشرين ـ اوكتوبر ـ كان لا بد ان تولد الانفجار الذي تمثل في انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير . تلك الانتفاضة التي أدركت ان الازمة الاقتصادية لم تولد من فراغ ولكنها نتيجة منطقية للازمة السياسية العامة التي يعانيها النظام باكمله . ولكن السلطة بدلا من أن ترى في الانتفاضة تعبيرا عن أزمة الجماهير في البحث عن لقمة العيش فانها وجدت فيها انتفاضة «حرامية» . وأصبح الشعب المصري في نظر السادات وبحكم منطقه الغاشي شعبا من الغوغاء والدهماء (نفس الالفاظ التي استعملها كل جلادي مصر : محمد محمود ، النقراشي ، اسماعيل صدقي) .

ولما كانت الازمات الاقتصادية تجد تعبيرا لها على المستوى السياسي ، فقد حاول النظام في البداية ان يحقق لسياسته غطاء يسيطر عليه ويحقق من خلاله أهدافه على كل المستويات ، فأقدم على تكوين الاحزاب التي يعرف قصتها كل أبناء الشعب العربي .

وقد كان من المنطقي تماشيا مع طبيعة النظام الطبقية وطبيعة حكمه المطلق أن يتبرم من كل معارضة أيا كان نوعها . ولا شك أن الاوضاع السياسية المتدهورة والازمات الاقتصادية المتفاقمة قد أدت الى بلورة معارضة تجسدت في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي الذي لعب دورا قياديا في تجميع كافة المعارضين حوله، وكان من نتيجة ذلك المصادرات المستمرة لجريدة الاهالي ومداهمة مقر الحزب والاستيلاء على آلات الطباعة والمطبوعات ، والتحقيق مع بعض أعضاء التجمع واعتقالهم .

ولقد أدى انحدار النظام المصري الى مواقع الخيانة والعمالة الى تزايد المعارضة وبلورتها داخل وخارج مجلس الشعب ، الامر الذي دفع السادات الى حل مجلس الشعب من اجل التخلص من ٢٥ معارضا بداخله ، وأقدم على عملية تزييف لانتخابات جديدة لم يشهد تاريخ مصر مثيلا لها . فقد قبض على المرشحين المعارضين قبل عملية الانتخاب بايام واستبدلت صناديق كاملة بصناديق اخرى مملوءة بالبطاقات المزيفة . بل واعلن عن نجاح بعض المرشحين ثم اعلن عن سقوطهم فيما بعد كما حدث في دائرة كفرشكر التي كانت مغلقة دائما لصالح مرشحها خالد محي الدين مقرر حزب التجمع . وعلى الرغم مما حدث فقد استطاعت المعارضة الحصول على ما يزيد على ربع مليون صوت .

البحث عن الذات

سئل السادات بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بايام عن مثله الاعلى فرد قائلا دون تردد : هتلر !! ويؤكد أحداث الحرب العالمية الثانية هذه الاجابة حيث كان يعمل علنا لحساب المخابرات الالمانية وكان يقف في مقدمة الصفوف التي تهتف « تقدم يا روميل » .

والسادات من طفولته كان يكره مصاحبة أبناء جلدته من الفلاحين الفقراء وكان يحب مصاحبة أبناء الوجهاء والاغنياء . ويمكن قراءة ذلك من بين سطور سيرته الذاتية « البحث عن الذات » .

وكان السادات يدين بالولاء للاسرة المالكة في مصر .. فعندما فصل من الجيش أعادته احدى أميرات القصر الملكي الى صفوفه .

وكان يعتنق الارهاب الفردي مذهبا له .. ومن هنا كان ارتباطه بالحركات الارهابية والعاشية .

والسادات لم يكن رغم فقره يحقد على الاغنياء ولكنه كان يتعلق بأذيالهم ويحاول أن يتشبه بهم .. ان التكوين النفسي للسادات كما نحسه من قراءتنا لرحلة « البحث عن الذات » يتلخص بما يلي :

- انه نازي النزعة يميل الى الحكم المطلق .
- انه يكره الفقراء ولا يحب مرافقتهم .
- ان الارهاب نزعة مترسبة في أعماقه .
- انه ميال الى التشبه بالطبقات الارستقراطية ومصاحبتها .

كل هذا كان مؤشرا للسادات بان المعارضة ، سواء السرية منها أو العلنية ـ تتزايد يوما بعد يوم ، وأن المعاهدة المصرية ـ « الاسرائيلية » التي لم تقدر على حل الازمات الاقتصادية قد أكدت دور المعارضة بين المواطنين ، بحيث أصبحت تمثل خطرا حقيقيا على النظام ، وتهدد فرص بقائه لمدة أطول ، خاصة أن حزب التجمع الوطني كان بهيء نفسه لمؤتمره الثاني الذي كانت ستتحول فيه المعارضة الى معارضة صريحة ومكشوفة حتى ولو أدى ذلك الى الصدام مع السلطة . ولاسباب أخرى كثيرة لا مجال لذكرها هنا ، أقبل النظام القمعي في مصر على أوسع حملة اعتقالات لا تستند الى مضبوطات تشكل أية قضية ، وأعلن وزير داخلية النظام ان حملة الاعتقالات ستستمر وتتسع ، حتى بلغ عدد المعتقلين في أيام قليلة ١٤٤ معتقلا .

واذا كان النظام يفلف حملته بانها حملة « ضد خلايا شيوعية كانت تسعى لقلب نظام الحكم » الا انها لم تستطع ان تخفي رعبه من المعارضة المتزايدة وكذلك من سخط الجماهير وتفاقمها حول ما ينادي به حزب التجمع في برامجه المختلفة .. فقد هبت الجماهير في ١٨ و ١٩ يناير في مواجهة رفع الدعم عن السلع الاساسية ، وتراجع النظام الى حين ، حتى يهيء الظروف الممكنة لهذا الرفع بوسائله القمعية المعروفة وباخلاء الساحة من أية معارضة ، والاطمئنان الى أن الشارع المصري لا يحمل بوادر الانفجار . وقد حملت الاخبار الاخيرة ما يفيد أن النظام أقدم تدريجيا على البدء في رفع الدعم عن السلع الضرورية في الوقت الذي يداهم فيه «زوار الفجر» منازل قادة حزب التجمع وبتم اعتقالهم .

ان محصلة ما جره النظام السادات على الشعب المصري يتمثل في :

- جر البلاد الى عجلة الامبريالية الامريكية ووضعها في وضع المدافع عن المصالح الامريكية في المنطقة .
- ضرب الثورة الفلسطينية في الصميم ، الصلح المنفرد مع « اسرائيل » .
- حرمان مصر من مسانده كل القوى التقدمية في العالم ووقوفها الى جانبها من أجل تحقيق استقلالها الوطني والاقتصادي .
- تفاقم الازمة الاقتصادية بشكل حاد الامر الذي أدى الى خروج ما يزيد على ثلاثة ملايين مصري للبحث عن لقمة العيش خارج مصر .

فهل يتمكن النظام بوسائله القمعية والارهابية ان يخرس صوت الازمات التي تسحق الشعب المصري ؟ وهل يمكنه بالرغم من حملات الاعتقال الواسعة النطاق أن يخرس صوت المعارضة اذا ما اصبح صوت الشعب المصري كله ؟ وهل يمكنه رغم الاجراءات الاحتياطية ورغم اجهزة « السافاك » المرعبة ، ورغم اجهزته البوليسية التي تعمل على ضبط الشعب المصري ، هل يمكنه أن يحول دون انتفاضة شعبية تفوق انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير الماضية ؟ كل هذا سوف تجيب عنه الايام القادمة، ونحن مع تلك الايام على موعد .

محسن الخياط
عضو تجمع الوطنيين المصريين في الخارج

بيان مشترك بين الجبهة الشعبية وتجمع الوطنيين المصريين في الخارج

نتيجة للظروف التي تمر بها الامة العربية وللاحداث التي تمر بها مصر اجتمع وفد من تجمع الوطنيين المصريين بالخارج ووفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتدارسا الموقف وأصدرا البيان التالي :

ان ما يجري في مصر من اعتقالات واسعة النطاق ، ومن محاولة لخنق روح المعارضة الوطنية والتقدمية والديمقراطية وخاصة حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ليست الا امتدادا للمواقف الخيانية التي وقفها السادات من قضية الارض العربية المحتلة وقضية فلسطين ـ كما انها انعكاس طبيعي لما افرزته الخيانة من ممارسات بدءا بزيارة القدس المحتلة وانتهاء بتوقيع اتفاق الاستسلام المنفرد مع العدو الاسرائيلي . ولقد اصبحت سمة النظام الاساسية خاصة بعد توقيع المعاهدة تتسم بطابع القمع الوحشي والارهاب البوليسي ، في محاولة يائسة للنظام من أجل أن يرهب الشعب المصري وأن يفقد الحركة الوطنية والتقدمية قدرتها على مقاومة المخطط الاجرامي الذي ينفذه السادات في اطار الحلف الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي .

ان حملة الاعتقالات الواسعة لابرز اعضاء حزب التجمع الوطني تؤكد ان النظام الساداتي اصبح يخشى أية معارضة قادرة ان تكشف لجماهيرنا في مصر مدى ما وصل اليه السادات من خيانة بيعه أرض مصر وفتحه أبوابها امام سيطرة الامبريالية الامريكية والصهيونية .. انه اصبح يخشى هبة أخرى للجماهير المصرية التي استشهد الالاف من ابنائها دفاعا عن العروبة ودفاعا عن القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية.

ان حملة الاعتقالات هذه تجري في الوقت الذي يستمر فيه السادات في ارتكاب جرائمه الخيانية ضد الشعب الفلسطيني باستمراره في محادثات الحكم الذاتي للضفة الغربية والقطاع ، وقد شجب صوت المعارضة في مصر كل محاولات السادات التي استهدفت ضرب القضية الفلسطينية من الخلف واضعافها لحساب الولايات المتحدة الامريكية ولحساب اسرائيل .

ان وقوف جماهير شعبنا الفلسطيني الى جانب المعتقلين في مصر وشجبه لسياسة القمع والارهاب التي يمارسها النظام الساداتي هو في حد ذاته وقوف في وجه مؤامرة الحكم الذاتي وفي وجه المخططات الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية بل والوجود الفلسطيني نفسه .

اننا نطالب كل الهيئات والتنظيمات السياسية والجماهيرية ان تقف بحزم الى جانب المعتقلين في مصر والمطالبة بالافراج عنهم فورا ـ كما نطالب كل القوى التقدمية وكل الهيئات الجماهيرية والديمقراطية والنقابية بان تشجب أساليب القمع والاغتيال التي يمارسها النظام المصري وان ترفع صوتها عاليا للافراج عن كافة المعتقلين السياسيين .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ
تجمع الوطنيين المصريين في الخارج
١٩٧٩/٨/٣٠